

تفسير البغوي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

مكية ، وهي مائة وخمس وستون آية ، نزلت بمكة [جملة] ليلا معها سبعون ألف ملك
قد سدوا ما بين الخافقين ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم " سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا " . وروي مرفوعا : " من
قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره " . وقال الكلبي عن أبي
صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت سورة الأنعام بمكة ، إلا قوله : " وما قدروا
الله حق قدره " ، إلى آخر ثلاث آيات ، وقوله تعالى : " قل تعالوا أتل " ، إلى قوله : "
لعلكم تتقون " ، فهذه الست آيات مدييات . الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (الحمد لله الذي خلق السموات
والأرض) قال كعب الأحبار : هذه الآية أول آية في التوراة ، وآخر آية في التوراة قوله :
" الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا " الآية (الإسراء - 111) . قال ابن عباس رضي الله

عنهما : افتتح الله الخلق بالحمد ، فقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) ،
وختمه بالحمد فقال : (وقضي بينهم بالحق) ، أي : بين الخلائق ، (وقيل الحمد لله رب
العالمين) [الزمر - 75] . قوله : " الحمد لله " حمد الله نفسه تعليما لعباده ، أي :
احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض ، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات
فيما يرى العباد ، وفيهما العبر والمنافع للعباد ، (وجعل الظلمات والنور) والجعل بمعنى
الخلق ، قال الواقدي : كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان ، إلا في
هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار . وقال الحسن : وجعل الظلمات والنور يعني الكفر
والإيمان ، وقيل : أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم . وقال قتادة : يعني الجنة والنار . وقيل
: معناه خلق الله السموات والأرض ، وقد جعل الظلمات والنور ، لأنه خلق الظلمة والنور
قبل السموات والأرض . قال قتادة : خلق الله السموات قبل الأرض ، والظلمة قبل النور
، والجنة قبل النار ، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : " إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من
ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " . (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي : ثم الذين

كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون ، أي : يشركون ، وأصله من مساواة الشيء بالشيء ،
ومنه العدل ، أي : يعدلون بالله غير الله تعالى ، يقال : عدلت هذا بهذا إذا ساويته ، وبه
قال النضر بن شميل ، الباء بمعنى عن ، أي : عن ربهم يعدلون ، أي يميلون وينحرفون من
العدول ، قال الله تعالى (عينا يشرب بها عباد الله) أي : منها . وقيل : تحت قوله " ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون " معنى لطيف ، وهو مثل قول القائل : أنعمت عليكم بكذا
وتفضلت عليكم بكذا ، ثم تكفرون بنعمتي .